وحدت الفارس على فراشه

يجيئني صوتك من قرارة الرمال (*)
مجلجلا ، جذلان ، يقرع المدى
أقبّل الصوت واحضن الصدى
فلم تزل فيه بقية النقاء في الرجال
وكان آخر المطاف انني سمعته ،
ـ يجيئني من حيث أنت ، من مكانك البعيد عن عيوننا ـ
وان فارسي هناك .. ما يزال !

* * *

الحال من بعدك ؟
هل أقول : كل ليلة نعشو الى الركن الذي
يا كم ملأته ، وظل رطبا فارغا ،
يوحشنا ، بلذعة البرودة ، المفزعة ،
وبانطفاءة البريق في عيوننا التي تآكلت
وبارتجافة الاصابع التي لم تقو ان
تفجّر الكبريت ، في عرقنا يظل ثقل قابض ،
ووحشة تمسكنا من الرقاب ..
ولفظة نقولها ، نقطع عبء اللحظة الشوهاء ،
يستدير كل ما نقوله ، يجف في حلوقنا ،
نغص ..
يصبح الحديث أنت ! دامعا وراعشا ،
وخانقا ..

وعندما نفيق من دوامة الذهول
تملكنا الدهشة والسؤال : كيف ؟
ـ وأمس كان بيننا .. وما يزال ! ـ
وبعد .. لم نصدق الرحيل
ـ والموت راحة حين يصير ماضيا مصدّقا ـ
ونحن ما نزال في انتظار خطوتك .
بعد قليل ، تطرق الباب ،
تهلّ طلعتك ..
تملؤنا بفيض حبك الكبير للحياة ..
تسكب في صدورنا حنينك الجريح للسلام
وحلمك القديم ان تعود مثلنا ، للواحة التي
تظلنا معا

فالفارس الحزين ما يزال يستر الطعان والندوب
في بريق مقلتين ، تدمعان ، تنطقان بالاسى
.. ولا يقول !

يمشي على جراحه .. ويتكيء
ينزف من أعماقه .. ولا يقول !
من يوم أجبروه ان يزيل عن صدور رفقة السلاح
شارة الميدان ،
وان يمد عينيه الى عيونهم محملقا في هوة
الفراغ والعدم
ودورة الاشياء حين يلتقي الشجاع والجبان
هناك ، في زنزانة السجان
وليس من جريمة .. ولا اثر !
لكنه الزمان !

. . . . . .

بعد قليل ، تطرق الباب ، تهلّ طلعتك
يفمرنا جناحك الوثير بالحنان
تلوّن الكأس التي تكرهها شاحبة ، وتنتفض !
لان شيئا في عيوننا ، كأنه الرثاء ، او كأنه السؤال
جارحا ، كأنه نزف القرار فيك انت ، او لعله
الشراب ، او حديثنا المدبّب
يسأل عن بطولة الميدان !
نسأل عن فجاءة الاوان !
وتجمد النظرة في عينيك ، يجمد الاسى ، ولا تبوح
لكننا نسمع فيك ثورة البركان !

*

يجيء من يقول : كان ساهرا ليلتها
ينادم الليل البعيد في خلاء وحشة الرمال والتلال
وكان قابضا على زمام نفسه التي تئن ، تدمى ،
يطفيء الانين في سراب كأسه التي لم تمتلىء
يرقب من وراء هجعة الظلام ،
ضفة اخرى ،
سيصبح الصباح وهي ما تزال
الضفة الاخرى ..
لعلنا .. نحاول المحال !
لعلنا ..
ونام دامعا ، جبهته المثقلة المسهومة
الى يمينه التي كانت تهيب بالرجال
لعلنا ..
نحطم الاوسمة القديمة !
ـ ونلعن الخذلان والضياع والملال !

. . . . . .

ولم يمت بلوعة الهزيمة
وانما ..
ـ كما نموت نحن كل يوم ـ
بالعجز عن هزيمة الهزيمة !

القاهرة

فاروق شوشة

* الى صديقي « رضا » .. كان فارسا نبيلا ..